تقديم

عرف قراء هذه المجموعة من خطتها فى الحلقات السابقة أنها قبس من الثقافة الانسانية فى مصدرها وفى موضوعها .

فى مصدرها لأنها تنتخب المؤلفات فى كل مجموعة من ثقافات الأمم المختلفـــة .

وفى موضوعها لأنها تتحرى التعـريف « بالانسان » حيثما كان ، أو بالانسان فى كل زمن وكل وطن ، غير محدود بانتسابه الى حيز من الأرض ، أو قبيل من الأمم .

وفى هذه المجموعة خمسة من روائع الثقافات اليونانية والفرنسية والانجليزية والهندية عن قضية من قضايا الانسانية المتجددة فى كل حضارة من حضاراتها ، وبين كل شعب من شعوبها : وهى قضـية الحرب والســـلام .

كتابان من الكتب الخمسة يعرضان لقضية الحرب فى حياة الانسان، وكتبها الثلاثة الأخرى تعرض لهذه القضية فى حياة الأمم من غربية وشرقية ، ومن قديمة وحديثـة : وهى أمم اليـــونان والبريطانيين والهنديين . ويداخلها من قريب حديث الحرب فى فرنسا على عهـد قائدها وعاهلها نابليون ، وحديث الحرب فى أسبانيا على عهود ملوكها وقادتها فرديناند ، والفونس ، ورودريق . وحديث الحرب فى ايطاليا على عهد الثورة والانقلاب فى طلب الوحدة والاستقلال .

وداعية الحرب فى رواية « ستندال » شاب ممن يتعشقون صناعة الحرب طموحا الى المجد وتمردا على السـلطة . وباعثه الى هـــذا الهوى النفسانى ـ اذا عهدنا فى تحليله الى دراسات علم النفس الحديث ـ أنه

تبرم بالصرامة والعنت من سلطان أبيه عليه وعلى الأسرة فاتخذ من الامبراطور الثائر ـ نابليون ـ مثالا يحتذيه ويعجب به ويتمنى أن يعمل تحت لوائه ، لأنه يجمع بين معنيين من المعانى التى تجيش فى صدره على غير علم منه ، وهما : معنى التمرد ، ومعنى النجاح فى الغلبة على السلطان القائم .

وداعية الحرب فى رواية « كورنيى » بطل يستعير اسمه من لغتنا العربية باتفاق الأقوال ، فيقول المؤلف ـ وهو ينقل أقاصيصه من مأثورات شعبه ومرددداته ـ : ان مليكه لقبه بلقب السيد لأنه عاد من المعركة وفى ركابه أميران عربيان أسيران يدعوانه بالسيد اذعانا لطاعته واعترافا بانتصاره ، فخلع عليه اللقب الذى يسجل له ذلك الاعتراف ويبسط له لواء الطاعة فى حومة القتال على من يعاديه ، ومن يواليه !

ولا يبعد عن الظن أن لقب « السيد » ـ بكسر السين ـ مستعار من العربية ولكن بمعنى غير معناه الذى نقله كورنيى ... فانه اسم من أسماء الذئب ، عرفه شاعرنا الشنقرى الذى كان أشبه الناس بالقائد الأسبانى فى غاراته وغنائمه ، وفيه يقول ـ وهو يعدد أنصاره من السباع فى لامية العرب المشهورة :

ولى جيرة أهلون : سيد عملس وأرقط ذهلول ، وعرفاء جيأل

وجيرته الأهلون على هذا هم الذئاب والنمور والضباع ، وقد اشتهر تلقيب الفارس المغوار بالذئب على ألسنة الأصدقاء والأعداء فى أمم كثيرة الى عهد البطل التركى المعروف « الذئب الأغبر » مصطفى كمال .

والحرب فى حياة البطل الذى وصفه كورنيى صناعة ، كالحرب فى حياة « فابرينرو » بطل ستندال ، وكلاهما طمح بهذه الصناعة الى المجد والغلبة ، ولكن الغنيمة كانت مطمحا وراء مطمح المجد والغلبة فى صناعة « السيد » وصناعة نظرائه من طلاب القتال فى ساحات القرون

الوسطى ، وفى جميع تلك الساحات بغير تفرقة فيها بين ساحة العدو وساحة الصديق .

أما الحروب فى حياة الأمم — كما تتراءى فى كتب هذه المجموعة — فاثنتان منها تعرضان لنا قضية الحرب والسلم فى حضارتين من أعرق الحضارات التى عرفتها الانسانية فى تاريخ شعوبها بالمشرق والمغرب : وهما حضارة الهند وحضارة اليونان .

وأولاهما ، فى الحقيقة ، انما كانت حربا فى ضمير الآباء البرهميين بين عقائد الروح الأبدية وضرورات المعيشة اليومية ، أو بين العقيدة التى تفرض على البرهمى تقديس الحياة وتحرم عليه المساس بحى من الأحياء ولو كان من خشاش الأرض وهوام الهواء ، وبين حكم السياسة الذى يساق فيه الحاكمون والمحكومون معا الى معترك يختلط فيه القتل بحماية الحياة ، ويتشابه لديه مفصل الحق والباطل فى المسكر الواحد ، قبل أن يتشابه فى كلا المعسكرين .

والحرب الثانية انما كانت ، فى حقيقتها ، حربا بين نظامين ومزاجين ، وان كانت بين شعبين من سلالة واحدة يجمعهما اليوم تاريخ واحد ، هو تاريخ أثينا وتاريخ اسبرطة فى حضارة تسمى حضارة اليونان ... ولعل القدر الساخر قد أضاف الى رواية الشاعر الساخر فصلها الأخير ، حين عقب على ترك الحرب بهذا الختام ، بعد ذلك اللدد فى الخصام .

أما الحرب الثالثة بعد حربى الهند واليونان فعنوانها فى كتابها فى هذه المجموعة اسم تمبرلين العظيم !

عاد بها الشاعر الانجليزى — مارلو — الى الشرق يوم كان الغرب كله يستأنف خطواته الى اقامة الدول واقامة الحضارة ليعيد تجربة الزمن القديم ! تجربة الحروب التى تسمى بالفتوح وتمهد الطريق بعد أربعة قرون لقضية الحرب والسلام بين أبناء السلالة الواحدة ، وبين

النظام والنظام ، وبين العدوين المصطرعين أبدا فى خفـــايا النفس البشرية ! شهوة الطمع وقداسة الحياة !

وليعتبر القارىء بهذا السجل الطويل الذى تشعبت به التواريخ ألوف السنين ، فيطوى الصحائف وهو يبتسم صامتا ، أو يبتسم ويقـــول :

داء قديم !

وليتفاءل اذا شاء فيقول على أمل كريم : داء ينقضى فى شكايته ، وفى علاجه ، كل هذا الأمد الطويل أحرى أن يؤذن بدواء ، وأن يؤذن دواؤه بشفاء .

عباس محمود العقاد